



Al-Quran as Arabic Text and Women's Rights in Public Space: A Pragmatic Study of Women's Contributions to Overcoming the Corona Virus Outbreak

الحقوق المدنية للمرأة من منظور القرآن: حق المشاركة في مكافحة كوفيد-19 نموذجاً
(دراسة تداولية في النصوص العربية)

A.Muntaha Afandie
University of Manouba, Tunisia
muntaha@lisaniyat.id

Abstract

Currently, women play an indispensable role in social life. Many have positions of strategic importance. Their contribution is not restricted to the private domain but extends to the public sphere. Not insignificant numbers of people become leaders of organizations, social institutions, political parties, and even nations. However, it is regrettable that many religious leaders continue to place women in subordinate positions, particularly in religion and social life. This study examines the influence of the interpretation of the Arabic text in the Al-Quran on women's freedom of expression in the public domain. This study focuses on their right to join social institutions that help overcome the coronavirus (Covid-19) outbreak. The question is, how does the Al-Qur'an view their freedom to express themselves in the public sphere? To answer this dilemma, we must first return the Al-Quran to its text as general meaning, then reinterpret it to fulfill a different context-appropriate purpose. The question is, how does the Al-Qur'an view their freedom to express themselves in the public sphere? To address this question, we must first return the Al-Quran to its general meaning before transforming it into another purpose that is appropriate for the context. As a result, the research employs linguistics as a science to evaluate interests from numerous angles.

Keywords: speech acts, Al-Quran, cognitive linguistics, pragmatics.

ملخص البحث

في يومنا الراهن، تلعب المرأة دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية وتحتل عدة وظائف أساسية فيها. وهذا يعني أن دورها لم ينحصر فقط في المجال المنزلي domestic spere، فنجد عدداً كبيراً من النساء تكمن من الحصول على مناصب قيادية سواء كانت في المنظمات والمؤسسات والهيئات الاجتماعية والأحزاب السياسية والدولة. وللأسف الشديد، لا زال

بعض من رجال الدين يضعون في المرتبة الثانية من الجنس the second sex، بالخصوص في سياق التدين والاجتماعية. على سبيل المثال، رفض قيادتهم واشتراكهم في المجالات العمومية public context. يتمحور بحثنا حول قضايا حرية المرأة في ضوء القرآن، ونحدده في حرية اشتراكها في الهيئات الاجتماعية المشاركة في مكافحة كورونا المستجد. فالسؤال المطروح هو: إلى أي مدى حرية المرأة للتعبير عن حقوقها المدنية في ضوء الكتاب؟ يتطلب إجابة هذا السؤال إلى رجوع النصوص العربية إلى معانيها التوليدية general meaning ثم تحويلها إلى المعاني الضمنية المرتبطة بالسياق. لهذا، نحتاج إلى استخدام مقاربة اللسانيات بوصفها علما مهتما بالبحث عن المعنى من جميع جوانبه. الكلمات المفتاحية: الأعمال اللغوية، القرآن، اللسانيات العرفية، التداولية

مقدمة

تكافحت الحكومة الإندونيسية، مثل سائر الحكومات في أنحاء العالم، لقطع سلسلة عدوى كوفيد-19 الذي بدأ يظهر في ووهان Wuhan بولاية هوبي Hubai، الجمهورية الصينية الشعبية. ووصل هذا الفيروس إلى إندونيسيا منذ مارس 2020، كما أعلنه رئيس الجمهورية الإندونيسية، جوكو ويدودو. بالتالي، قررت الحكومة الإندونيسية حالة الطوارئ الناجمة عنه.

بالرغم من أن الحكومة بذلت جميع الجهود لحماية ملايين الشعب من عدوى كوفيد-19، إلا أنها لن تنجح على أقصى حد إذا كان المواطنون أنفسهم لا يهتمون بسياسة الحكومة ومبادراتها في حمايتهم. بالاعتماد على هذا، تكاثفت الحكومة مع جميع عناصر الدولة من المؤسسات الاجتماعية لقطع سلسلة العدوى. نظرا إلى أن القطع مسؤولية مشتركة بين جميع الشعب، أي ليس فقط مسؤولية الحكومة.

تلعب هذه المؤسسات دورا مهما ومباشرا في مجابهة حائجة كورونا. وذلك من خلال مساعدة الحكومة في إطلاق حملات إعلامية تخصيصية حول أخطار فيروس كورونا وكيفية الوقاية منها، وتركيب محطات غسل اليدين في المحلات العمومية مثل المساجد والأسواق والمحطات للقطارات والباصات وغيرها. وقد كانت كل أطراف الشعب من رجال ونساء وصغار وكبار صفا واحدا في مواجهة هذه الجائحة.

وعلى الرغم مما تستطيعه المرأة في وقتنا الحاضر، من تكيف مع مختلف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحيطة بحياتها اليومية إلا أن مشاركتها في المجتمع ما زالت تثير جدلا عند بعض علماء المسلمين. فلا زال بعض من التقليديين يحصر دور المرأة في تربية الأبناء والاهتمام بالشؤون المنزلية والزواج فحسب حتى أن بعضهم قال إن مهمة المرأة لا تخرج عن ثلاثة، وهي: المطبخ والبئر والفرش. هذا يعني، ما زال الكثير من الناس إلى يومنا هذا يضيّقون على المرأة فيحرمونها من حقوقها المدنية فلا يمنحونها إلا أعمالا بسيطة اعتبارا للنظرة الدُّنيا التي تحتلّها لديهم (Muhammad, 2001, pp. 5–6).

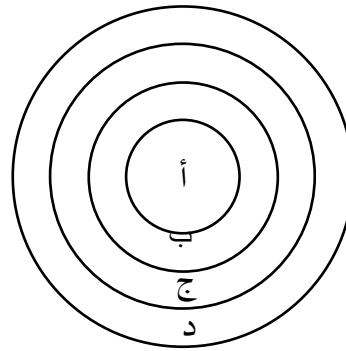
والحق أن المتأمل للدين الإسلامي يدرك ما جاء به من مبادئ وقيم جديدة رفعت مكانة المرأة فأخرجتها من حالات العبودية والاضطهاد فصارت حرة مكرّمة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات حيث نجد عددا من آيات القرآن التي لا تتوجه فقط بالخطاب الخاص للرجال وإنما هي متوجهة للرجال والنساء في آن واحد.

منهج البحث

كل خطاب يشتمل على المستويات من المعاني، وهي المعاني المعجمية والنحوية والدلالية والتداولية. بعضها تنتهي إلى المعاني الظاهرة، وبعض آخر تنتهي إلى المعاني الضمنية، وتسلّحنا خلال البحث في المعاني الضمنية للقرآن بنظرية الأعمال اللغوية speech acts لأوستين Austin. يجدر الذكر أن المعاني الضمنية من منظور الأعمال اللغوية تنتهي فعلا إلى التداولية كما يبيّنه الرسم التالي:

الرسم 1: مستويات المعاني في البحوث اللسانية

- أ - المعاني المعجمية
- ب - المعاني النحوية
- ج - المعاني الدلالية
- د - المعاني التداولية



ينتهي (أ) و (ب) إلى المعاني الظاهرة وهي رديف الجمع بين معاني الخطاب المعجمية ومعانيه النحوية. في حين أن (ج) و (د) ينتميان إلى المعاني الضمنية وهي رديف الجمع بين هذين الصنفين من المعاني وما يمكن أن تحيل عليه بدورها من معان أخرى مختلفة (Yusuf, 2009, pp. 8–7). إن هذا النوع من المعاني لم يتعلق فقط بالمعاني المعجمية والنحوية وإنما تعلق أيضا بمقام الخطاب context، فسمي بالمعاني المقامية أي المعاني التي تُدرك من خلال ارتباط الخطاب بمقامه الكلامي.

اخترنا البحث في المعنى الضمني للخطاب القرآني لا المعنى الظاهر له نظرا لوظيفته الأساسية داخل اللغة حيث تختفي المقاصد الحقيقية للمتكلم وراء ستار المعاني الظاهرة، فالمعنى الضمني هو غاية المتكلم من كل خطاب ينتجه. يجب أن تتوقّر في البحث مجموعة من الشروط الخاصة بالرموز اللغوية حتى يقدر المتقبل على إدراك المقصود عند الباحث من معاني الوحدات اللسانية التي قد تكون

كلمات أو جملا أو ملفوظات. ويتطلب البحث في هذا النوع من المعاني اتباع خطوات مهمة من أهمها: ارتباط الكلام بمدلوله ومقامه في الآن نفسه.

نتائج الدراسة ومناقشتها

مدلول مصطلح الرجال في الخطاب القرآني

تعتبر المرأة في الإسلام كائنا إنسانيا مثل الرجل وهو ما أكدّه الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء:1). بيّنت هذه الآية الوحدة الكاملة للناس في الأصل والمنشأ والمصير، ذكرا أو أنثى، والمساواة الكاملة في الكيان البشري. ويترتب على هذا، المساواة بين الجنسين وعدم التمييز في الحقوق بينهما في ذلك. ونذكر على سبيل المثال: حرمة الدم أو العرض أو الكرامة التي لا يجوز أن تُلمز مواجهة أو تُغتَاب ولا يجوز أن يُتَجَسَّس عليها. وكلها حقوقٌ مشتركة لا تمييز فيها بين الجنسين، وقد شملت الأوامر والتشريعات المرأة والرجل معا. وعليه فإن تحقيق الكيان البشري في الكون متاح للجنسين على حد السواء (Qutb, 1992, pp. 112–113).

فنجد معظم ما جاء به القرآن من تكاليف موجه لكلا الجنسين ولو كان الأسلوب بصيغة المذكر. ولإن استقر الخطاب القرآني على استخدام صيغة المذكر من حيث التركيب إلا أن كثيرا من آياته تدل على أن الخطاب موجه للرجال والنساء في آن واحد (Al-Jauzi, 1423, p. 73)؛ والخطاب العام تناول الرجال والنساء كما بيّنه علم أصول الفقه. ذلك يعني أن كل خطاب عام في القرآن لا يختص فعلا بأحد الجنسين فقط (Al-Asyqar, 2004, p. 185; Al-Khudgaribek, 1969, pp. 156–157).

أما تخصيص الشارع الإناث بالخطاب فليس المراد منه إلا تأكيد مكانتها فحسب (Al-Arabi, 2003, p. 3/367). وعليه ذهب الطاهر الحداد في كتابه المثير للجدل منذ نشره في الثمانينات من القرن الماضي إلى يومنا الراهن "امراتنا في الشريعة والمجتمع" إلى أن الحقوق المدنية للنساء والرجال كانت على حد السواء (Al-Haddad, 2011).

"إن أي الكتاب الكريم ظاهرة في خطاب الرجل والمرأة سواء في أحكامها وعامة في مقرراتها إلا ما كان نصا في خطاب الرجال والنساء. وهي تقرر لهما هذه الحقوق المدنية تفرض عليهما الواجبات وكما تسوي بينهما في العقوبات عند ارتكاب الجرائم، وهذا ما عليه عامة مذاهب الفقه في الإسلام."

غرضنا في هذا العمل عرض مكانة المرأة في المجتمع المساواة مع الرجل من منظور قرآني انطلاقاً من تفسير آيات القرآن بمقاربة نظرية الأعمال اللغوية. واقتراحنا تفسير القرآن تفسيراً تداولياً. وتجدر الإشارة إلى أن الغرض منه ليس إعادة النظر في التفسير السائدة من التراث الإسلامي، والحق أننا نريد المساهمة في إثراء الساحة الفكرية الإسلامية باختلاف الآراء العديدة حتى نأمل أن يسد هذا العمل الفراغات في هذا المجال.

اكتفين في بحثنا بالحقوق المدنية للمرأة، بالخصوص حق مشاركتها في الحركات الاجتماعية التي تُسهم في مكافحة جائحة كورونا منذ الانتشار إلى أن يتأقلم الناس مع الوضع الطبيعي الجديد new normal في ظل الوباء.

مكانة المرأة

أرسل الله رسوله بشيراً ونذيراً، ورفع مكانة النساء مع اعترافه بحقوقها التي تتساوى مع حقوق الرجال. ونشير إلى أن الشارع نفسه لم يفرّق بينها وبين الرجال حيث أن النساء والرجال خُلِقوا من نفس واحدة (النساء: 1). فتغيرت النظرة العامة إلهما، إضافة إلى أن الإسلام أعطى إلهما الحقوق الدستورية والمدنية والإنسانية بلا فرق بين الجنسين. لهذا، رأى أصغر علي أغينار Asghar Ali Engineer أن نزول القرآن إلى محمد كان لموازنة الحقوق بين الرجال والنساء لا لتفضيل الرجل على المرأة.

وبعبارة أوضح اعترف الإسلام بالمساواة بين الجنسين، واهتم القرآن بالمرأة بشكل متين. ومن أشكال اهتمامه بها جعل في القرآن سورة باسم النساء دون الرجال. وفي القرآن كثير من الآيات التي تقر بحقوق المرأة وتدعو إلهما بصورة مباشرة. تبحث عنها في سور مختلفة مرشداً إلى ما لا بد منه ويتأكد تعجيله في اعتبار المرأة وتقرير حقوقها (Al-Haddad, 2011). ومنها حرية التعبير عن حقوقها ورغباتها مثل حق المشاركة في الحركات الاجتماعية المكافحة لقطع سلسلة عدوى كوفيد-19 صفاً واحداً مع الرجل. وعلى الرغم من ذلك، ثمة بعض من رجال الدين يفسرون القرآن تفسيراً يميل إلى المستلزمات الإيديولوجية الخاصة للمفسرين أنفسهم.

من آيات القرآن التي كانت محل اهتمام عند كثير من الباحثين في البحوث الجندرية قوله تعالى (النساء، (4) : (34) : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا ۝﴾.

ذهب أغلبية العلماء من المفسرين أن مقصود ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ في الآية السالفة مسؤوليتهم على أمور النساء ويقومون بالإنفاق عليها ورعايتها لا العكس (Al-Jailani, 2010; al-Qurtubi,

(2006; Al-Sya'rawi, 1991). وثمة بعض من العلماء الذين منعوا النساء من ممارسة بعض حقوقهن مثل المشاركة في القطاع العام public sector اعتمادا على هذه الآية. وهم ربطوا هذه الآية بالرئاسة بشكل عام والسياسة خاصة. والنساء عندهم لها خاصيتها مثل الحمل والولادة وتربية الأطفال لا غير. لهذا ظهرت فكرة تبعية المرأة للرجل subordination في الإسلام منذ العصور القديمة.

والحق أن نزول الآية السالفة ذكرها لم يتعلق فعلا بقيام رئاسة الرجال على النساء في المجالات الاجتماعية والسياسية بل نزلت لتبين قوامة الرجال عليهن من حيث تركيبة الأسرة وتكوينها والاهتمام بها وحفظ المرأة وحمايتها. وبشكل أدق ليس سبب نزولها متعلقا بقضية الحقوق المدنية بل بمسألة الميراث فحسب. ذلك أن الآية لم تتحدث عن القوامة في المسائل الاجتماعية والسياسية، وإنما تتحدث عن مسألة خاصة هي قوامة الرجل في الإنفاق. وهذا ما ذهب إليه الرازي في تفسيره حيث رأى (Al-Razi, 1981).

”... أن سبب نزول هذه الآية أن النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث. فذكر تعالى في هذه الآية أنه إنما فضل الرجال على النساء في الميراث؛ لأن الرجال قوامون على النساء، فإنهما وإن اشتركا في استمتاع كل منهما بالآخر، أمر الله الرجال أن يدفعوا إليهن المهر، ويدروا عليهن النفقة فصارت الزيادة من أحد الجانبين مقابلة بالزيادة من جانب الآخر.”

والقرآن بوصفه فلسفة ومنهجاً لحياة المسلمين فإن أمر تطبيقه في الحياة اليومية وتقديم الحلول لما يقدمه من حلول لعدد من المشكلات أمر ملح. ورغم أن القرآن أنزل باللغة العربية وتضمن الوضع الاجتماعي والثقافي setting sosio-culture للمجتمع العربي في القرن الرابع عشر، إلا أنه لا يزال حلاً للعديد من المشكلات في وقتنا الراهن مما يدل على صلاحيته لكل زمان ومكان باعتباره رسالة عالمية، فيكون القرآن روحاً للإسلام ولسانه الناطق.

أصبحت قوامة الرجل على المرأة من القضايا الأساسية التي تثير جدلاً في الساحة الفكرية الإسلامية نظراً إلى أن البعض قد اعتمد فقط على المعاني الحرفية للقرآن دون سواها مما جعله عاجزاً عن إدراك المعاني الضمنية وراء هذا الخطاب مما انعكس سلباً على صورة القرآن في العصر الحديث الذي أصبح ينظر إليه على أنه جامد وعاجز في آن عن مواكبة الواقع وتغييراته.

ومن ناحية أخرى ثمة معضلة خاصة للمسلمين غير العرب في الوقت الحاضر متمثلة في استراتيجيات تحويل المعاني المحلية للقرآن ذات الهوية العربية المرتبطة بالتاريخ العربي القديم ارتباطاً وثيقاً إلى خارج الحرمين بوصفهما مكاناً لنزول الوحي. وكان بين الحضارتين –أي حضارة العرب

الكلاسيكية وحضارة إسلام نوسانترا Islam Nusantara ذات الأحوال والأوقات المختلفة تماما عن ظروف نزول الوحي. فتعزيز صلاحية القرآن لكل زمان ومكان يفرض علينا إعادة قراءة القرآن من منظور جديد حتى ندرك المعاني المضمنة وراء الآيات القرآنية.

لا شك أن القرآن -- باعتباره كلام الله -- المنزل بلسان عربي مبين لا زال أصيلا authentic لم يتغير منذ نزوله إلى حد الآن وهو الذي اشتهر باسم المصحف العثماني (Saeed, 2006)، إلا أننا في عصرنا الحالي نحتاج إلى إعادة النظر في تصوراتنا نحوه؛ لأن نزوله مرتبط بشكل وثيق بسوسيو-التاريخ-السياقي Socio-Historical Context لمكان نزوله. أغلبية نزول آيات القرآن ذات ارتباط بمسألة ما أو حالة ما من المسائل والأحوال للمجتمع في ذلك الوقت لا بمجتمعنا الحديث.

وبالتالي فإن ارتباط القرآن بالمجتمع العربي في مختلف ظواهره الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها أمر بديهي بالفعل نظرا لمكان نزوله من ناحية ولغته التعبيرية بمختلف مستوياتها من ناحية أخرى. فالبحث في معاني القرآن بحاجة ماسة إلى الاهتمام بسوسيو-التاريخ socio-historic لنزوله كي ندرك المعاني الضمنية، وهي معان مضمنة وراء النصوص المكتوبة (أو وراء المعاني الحرفية). وهذا النوع من المعنى هو المعنى الذي أراد الله تبليغه إلينا.

الجدير بالذكر، إن تطبيق التفسير السياقي contextualization كان قد بدأ منذ العصور الأولى من تاريخ الفكر الإسلامي انطلاقا من عهد الصحابة بالتحديد. ومن أبرز الأمثلة التي تمثلت اجتهاد عمر ابن الخطاب الذي جاوز النص الشرعي إلى النظر في مصلحة الأمة بعيدا عن التسليم بظاهر نصوص الوحي بمعناها الحرفي. فألغى الخليفة سلطة النص في التشريع بأحداث من التاريخ الإسلامي مثل اجتهاداته في الزكاة والحدود والغنائم.

ولو تتبعنا كلمة ﴿الرجال﴾ في القرآن لوجدناها تحيل على الجنس البشري في عمومها دون تمييز بين الجنسين. فتارة يكون معنى الرجال هو الرجال أنفسهم وتورا يكون القصد منها الرجال والنساء معا ومرة تتجاوز هذه المعاني لتحيل على معان مخصصة وهو ما نتبينه من خلال النقاط التالية:

أولها: تدل كلمة الرجل على الجندر من جنس الرجل، وهي موجودة في سورة البقرة (2): 228 و282، والنساء (4): 32 و34. فدلالة كلمة رجل (ج رجال) في القرآن ليست بالضرورة مشتملة على جميع الرجال، كما هو مبين في سورة البقرة (2): 282. فقد اختصت كلمة الرجال فيها بمن توقرت فيه شروط الشاهد، وهي الحر والعادل والعاقل.

فيختص معنى ﴿رجالكم﴾ في هذه الآية إذن بالأحرار والعقلاء فحسب ولا تستغرق جميع الرجال أي لم تستغرق جنس الرجل جميعا حيث يوجد كثير منهم لا يمكن أن يكونوا شهداء إلا إذا توفرت فيهم

هذه الشروط. فكل صغير لم يبلغ سن البالغ والعبد، رغم كون كل منهما رجلا لم يتضمّن في جملة الشهداء لعدم توفر شروط الشهداء فيهم (قطب، 1992: 51).

ثانيها: تدل كلمة ﴿الرجال﴾ على المذكر والمؤنث في آن واحد، وهو ما نجدها في سورة الأعراف (7): 46 حيث لا تدل فيها كلمة ﴿رجال﴾ على الجنس للرجل بالشكل العام وإنما اختصت دلالتها على أصحاب الأعراف ذكرا كان أو أنثى. ونضيف إلى هذه الآية سورة الأحزاب (33): 23 التي توجد فيها كلمة ﴿رجال﴾ المختصة بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بغير النظر إلى الجنس البيولوجي وهم الذين لقوا الرسول مؤمنين ورفقوه ولأزموه مهما كانت الأحوال (ابن كثير، 1997).

ثالثها، لم تتعلق كلمة ﴿رجال﴾ بالنوع البيولوجي بتاتا وإنما كانت دلالتها خاصة بالنبي والرسول. نجد هذا النوع من المعنى لكلمة الرجال في كثير من سور القرآن، منها الآية السابعة من سورة الأنبياء (21). في حين تختص كلمة ﴿رجال﴾ في سورة سبأ (34): 7 بمحمد صلى الله عليه وسلم، كما أكدته كل من المراغي والزهيلي (Al-Maraghi, 1974; Alzuhaili, 1991).

وبالاعتماد على تلك المعاني السالفة لـ ﴿رجال﴾، قد اتضح لنا أن هذه الكلمة في القرآن ليست بالضرورة بمعنى الرجل من النوع الجندري رغم أنها في اللغة تدل عليه. ونجد عدیدا من آيات القرآن التي لا يختص خطابها بالرجال فقط وإنما كان الخطاب عاما اشتمل على الرجال والنساء معا رغم أن صيغة النص مذكر.

وآيات القرآن أنزلت، في أغلبها، مرتبطة بحادث ما من الحوادث آنذاك. وكانت أحكام القرآن أحكاما فورية وهو ما كتبه الطاهر الحداد حين قال (Al-Haddad, 2011)،

"وكان من ذلك، أن القرآن لم يبوب لأحكامه بحسب الموضوع طبق الأصول النظرية في تدوين المبادئ والكتب، وبذلك كانت شريعته نتيجة ما في الحياة من تطور، لأنها فصول وضعت من قبل لحمل الحياة على قبولها."

يعتبر محمد عبده عالما من العلماء الذين لم يتبنوا موقف رئاسة الرجال على النساء بشكل مطلق حيث خالف رأيه عديد العلماء الآخرين في فهم سورة النساء (4): 34 سالفة الذكر، والعمل بها في سياق العصر الحديث. وقد أكد عبده أن المقصود من عبارة ﴿فَضَّلَ اللَّهُ بعضهم على بعض﴾ هو تفضيل لجميع أفراد جنس الرجال على جميع أفراد جنس النساء نظرا إلى أن واقعنا الحالي يزخر بالعديد من النساء اللاتي تفوقن على أزواجهن في العديد من الأمور، مثال تفضل الزوجة زوجها في العلم والعمل فحتى في قوة البنية والقدرة على الكسب والحماية (Ridha, 1947). ولم ينبّه عبده على هذا المعنى، على ظهوره من العبارة، وتصديق الواقع له، وإن ادّعى بعضهم ضعف (Ridha, 1947).

تعزيز الحقوق المدنية للمرأة من منظور نصوص القرآن

إن قيمة المساواة بين الجنسين، بوصفها حقاً أساسياً من الحقوق الإنسانية، أمر ضروري بالفعل من أجل تحقيق السلام وإطلاق إمكانيات المجتمع الكاملة. وقد اهتم القرآن بها كما أشرنا سالفاً إلى أن آيات القرآن قد دعت إلى ذلك ودافعت عن هذه القيمة. وكذا فقد أنزل القرآن معززاً لحقوق المرأة في مختلف المجالات الأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية مع مراعاة الشريعة العادلة بعد أن أعطاها كل حقوقها وأعلن كرامتها بما يكون منسجماً مع فطرتها وطبيعتها. وقد حددنا بحثنا في قضايا المساواة بين الجنسين في الحقوق المدنية فحسب.

أكد الحداد (Al-Haddad, 2011) على أن الحقوق المدنية للمرأة في التشريعات الإلهية اشتملت على أداء الشهادة والقضاء وأهلية التصرف وحرية الحياة والمساواة في الميراث. وتُعنَى دراستنا في بيان حق مشاركة المرأة في قطع سلسلة عدوى كوفيد-19 المستجد بما هو تجسيد لتمتعها بحقوقها وحريتها. كان الخطاب القرآني في رأي الحداد خطاباً عاماً لكلا الجنسين وقد دعا إلى الحقوق المدنية بينهما دون تمييز كما فرض عليهما مجموعة من الواجبات وساوى بينهما في العقوبات عند ارتكاب الجرائم. ومن الآيات التي تحتوي على خطاب موجه لهما معا ما نجده في الجدول التالي:

الرسم 2 : هيمنة صيغة المذكر على المؤنث في القرآن

الرقم	السورة والآية	الكلمات المفتاحية	صيغتها
01	التوبة (9): 122	طائفة	مؤنث
02	البقرة (2): 238	حافظوا	مذكر
03	الإسراء (17): 38	وأوفوا	مذكر
04	النساء (4): 58	يأمركم، أن تؤدوا	مذكر
05	النساء (4): 93	يقتل	مذكر
06	البقرة (2): 179	لكم	مذكر
07	الأعراف (7): 32	حرّم	مذكر
08	الطلاق (65): 7	لينفق	مذكر
09	القصص (28): 77	ولاتنس	مذكر
10	الأعراف (7): 33	تُشركوا، تقولوا	مذكر

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن الخطاب القرآني لم يكن خاصا بالرجال فقط رغم هيمنة صيغة المذكر، والحق أن الخطاب القرآني مشترك بين الجنسين يدعو إلى حق كل منهما في الاستمتاع بمباهج الحياة واللهو والمرح وغيرها بما يكون في حدود الشرع. والقرآن في الحقيقة قد أوسع في تقرير الحرية إلى الحد الكامل لها، ونهى عن الفحشاء والبغي، قال الله تعالى (الأعراف (7): 33): ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رِبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

رغم دلالة ظاهر الآية على أن الله أمر بانزواء المرأة ومنعها من استعمال حقوقها المدنية مباشرة بنفسها لكن القرآن لم يترك الفواحيش في الآية مهملة دون التنبيه على المصادر التي نشأ منها السوء، وهي ترجع أساسا إلى المرأة والرجل على حد السواء، أي أن السوء لم ينشأ فقط من المرأة، وإنما ينشأ أيضا من قبل الرجل.

ومن هذه المصادر عدم غض البصر بالتطلع، فأمر الله بغض البصر؛ وإظهار الزينة فمنع به (النور: 31)؛ وغيرها من الآيات القرآنية التي لم تميز بين الجنسين. بعبارة أخرى، منبع السوء في الحقيقة بشر، رجالا كانوا أو نساء، على حد السواء. وقد حدد الإسلام مجموعة من الواجبات لكليهما زيادة على مجموعة من المحرمات التي نهاهما عن اتيانها. وقد ساوى الإسلام بينهما في الحقوق المدنية.

ندخل إلى صلب المسألة، وهو قضية تمكين المرأة من المساهمة في العمل في القطاع العام، بالخصوص قضية مشاركتها في مكافحة كوفيد-19 من منظور القرآن، نجد أن الخطاب القرآني قد نص على حق المرأة في مشاركة الرجل الأعمال المدنية وقد عزز دورها في هذا القطاع دون تمييز. لقد أشرنا سابقا إلى أن الخطاب القرآني في أغلبه خطاب عام موجه للجنسين كليهما على حد السواء مع بعض حالة التخصيص للمرأة ليؤكد حالتها الخاصة. ولقد أقر القرآن بتساوي المرأة مع الرجل في جميع الحقوق فلئن اختلفا في الجنس إلا أنهما يشتركان في كونهما ذاتا بشرية، ولهما نفس الحق.

ومن الآيات التي عززت المساواة بين الجنسين في الخدمة في القطاع العام هي (القصاص (23:0): ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

دلت الآية دلالة حرفية على امرأتين تحبسان أغنامهما في المرعى قبل الاقتراب من البئر الذي يسقي منه الرعاة ماشيتهم اجتنابا للاختلاط معهم وتذودان عن وجهيهما تجنباً لرؤية الرجال لهما (Al-Jawi, 1990; Al-Razi, 1981). والآية تتضمن دلالة التساوي بين الجنسين في الخدمة في القطاع العام. هذا

يعني على الرغم من أن علة خروجهما إلى المرعى ضعف أبعهما الذي بلغ سنّا كبيرة إلا أنّ الآية تتضمن بيان حق المرأة في العمل في القطاع العام كالرجل وقدرتها على ذلك.

إنّنا ندرك المعنى الضمني وراء النصوص بتحويل جوهر المعنى الذي حملته النصوص في سياق ثقافي سابق إلى سياق ثقافي آخر جديد. ويتمّ هذا التحويل من خلال إخراج معنى النص عن السياق الأول وإدماجه في سياق جديد مع المحافظة على هوية دلالية واحدة مفترضة (Saeed, 2006). وبالتالي يكون المسعى التأويل اقتراباً من الهوية الدلالية المفترضة بالاقتراب على آليتي الوصل السياقي والفصل السياقي على المعنى بالأساس. وفي كثير من الحالات كان السياق context قد أثر حقا على تفسير الآيات القرآنية سواء أكان أثر السياق واضحا أو خفيا (Surl, 2015; Yule, 1996).

وبعبارة أدق فإنّ الآية مكّنت من بيان المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة. والآية في حد ذاتها لم تدل على منع المرأة من التمتع بحقوقها المدنية، وهي الخدمة في القطاع العام مثل الرجل، أي رعي الماشية مع الرجال لكن مع مراعاة ما تنصّ عليه الشريعة من ضرورة عدم اختلاطها مع الرجال من غير المحارم لها. وفي هذا السياق نجد كثيرا من النساء اللاتي ساهمن في بناء الحضارة العربية الإسلامية منذ البداية جيلا بعد جيل إلى يومنا الراهن (Shihab, 2007).

نضيف إلى ذلك، من منظور الأعمال اللغوية، إن المعنى الحرفي للآية السالفة هو خروج امرأتين إلى المرعى ولكن المقصود الحقيقي منها فهو الطلب من المرأة أن تعبّر عن حقوقها المدنية مثل العمل في القطاع العام. يمثل رعي امرأتين الماشية في الآية السالفة نوعاً من أنواع مزاولتها الأعمال بكل صدق في القطاع العام. ذلك يعني، أن الأمور من المعاني لا تجري دوماً مثل ينطق المتكلم تماماً، والحق أن كثيرا من الأحيان يختلف المعنى المقصود من المتكلم عن الدلالة الحرفية لما قاله المتكلم حيث أن المتكلم كان قد يتوسل بالمعنى الحرفي قصد معنى آخر.

من خلال هذه القضية، يبقى أمامنا سؤال لا بد من طرحه هنا: كيف يمكن للمخاطب أن يعرف المعنى المقصود عند المتكلم نظرا إلى أن المتكلم قد يقول شيئا ما لكنه في الوقت نفسه يريد أن يقول شيئا آخر يختلف عما قاله حرفيا؟

الجواب عن هذا السؤال، نأخذ ما أكده سيرل من أن المتكلم يستطيع، من زاوية نظر الأعمال اللغوية غير المباشرة، أن يُبلغ المخاطب أكثر مما يقوله بالفعل، باستناده إلى معلومات خلفية، لغوية أم غير لغوية، مشتركة ما بينهما كما باستناده إلى مقدرات المخاطب العقلانية والاستدلالية وبوجه أدق، فالنموذج التفسيري لما هو غير مباشر من الأعمال اللغوية يتضمن نظرية الأعمال اللغوية وبعض المبادئ العامة للمشاركة في الحديث. على غرار تلك المبادئ التي وضعها غرايس وكذلك خلفية من المعلومات

الواقعية الأساسية المشتركة بين المتكلم والمخاطب كما أنه يفترض مقدرة من المخاطب على إقامة الاستدلالات (Fakhuri, 2013).

ذلك يعني أن الآلية استعملت البنية الخبرية من أجل تكوين طلب عمل لغوي غير مباشر indirect speech act، على الرغم من ذلك يجدر الذكر أن هذا النوع من العمل اللغوي speech act يحصل بوجود علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة، كما هو مبين في المثال التالي: (أنا أطلب منك أن تغلق الباب) التي تؤدي إلى البنية الخبرية عن الجو البارد. والأعمال اللغوية غير المباشرة أكثر شيوعاً في الخطاب مقارنة بالأعمال اللغوية المباشرة direct speech act (Yule, 1996).

اعتماداً على ما سبق ذكره نتبين أن مسؤولية مجابهة فيروس كورونا ليست فقط منوطة بعهدة الرجال وإنما هي مسؤولية الجميع من الناس بقطع النظر عن الجنس. فلا يمنع خروج المرأة من منزلها من أجل المساهمة بوصفها متطوعاً في قطع سلسلة عدوى كورونا. ويضاف إلى الآلية السابقة حدث خروج عائشة مع جيش المدينة إلى البصرة (عام 38 هـ) طالبين من علي بن أبي طالب تنفيذ القصاص في قتلة عثمان حتى وقعت المعركة بين القوتين المعروفة بوقعة الجمل (Al-Bashri, 1970; Al-Shalabi, 2007).

نجد الذكر أنها ليست الوحيدة من النساء المباديات بالعمل في القطاع العام وبالأخص في المعارك في تاريخ العرب الإسلامي. والحق أننا نجد عدداً من النساء اللاتي شاركن في حروب مختلفة مثل غزوة أحد أول معركة في تاريخ الإسلام، وقد شارك فيها كثير من المسلمات. ولم يقتصر دورهن فيها على حمل السلاح في أرض المعركة بل أيضاً تعدّينها إلى أدوار أخرى مختلفة مثل حمل الأعباء والقيام بالواجبات وسقاية العطشى ومداواة الجرحى وغيرها. ومنهن عائشة وأم عمارة نسيبة بنت كعب وأم أيمن بركة الحبشية وأم سليط وأم سليم ونسوة من الأنصار وحمنة بنت جحش، ومن الأسماء المذكورة منذ حين، تعتبر أقرب النسوة من الرسول هي السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق فهي زوجته في حين أن حمنة بنت جحش هي ابنة عمته.

فخروج أم المؤمنين إلى البصرة لطلب قصاص عثمان بن عفان حتى وقعت معركة واشتراك نساء أخريات من المسلمات في الحروب دليل آخر على أن الإسلام لم يمنع المرأة المشاركة في الحياة الاجتماعية بل عزز دورها وبين قدرتها تتساوى مع الرجل فيها أحياناً وتفوقه أحياناً أخرى فكلاهما له الحق في خدمة المجتمع والنهوض به.

الخاتمة

بالرغم من أن القرآن ضمن الحقوق المدنية للمرأة وسأواها مع الرجل إلا أن الآراء قد اختلفت حول هذه القضية منذ القديم في الفكر الإسلامي إلى يومنا الراهن وبقيت محلّ جدل بين داعم ورافض.

فالإسلام ينظر إلى المرأة باعتبارها مخلوقا كاملا له مكانته وكرامته، وجب التعامل معه في شموليته دون حصره في الجانب الجمالي والجسدي وإدراك أنه إنسان وذات بشرية له حقوق وواجبات ومسؤوليات شخصية واجتماعية مثل الرجل. فالمرأة صاحبة عقل لها القدرة على التفكير واتخاذ القرارات والعمل والإبداع وما إلى ذلك. فكل الإمكانيات البشرية الممنوحة للرجال ممنوحة للمرأة أيضا. لذلك لا فرق بينهما في الحقوق في المجالات التربوية والاجتماعية وغيرها في القرآن.

ولو كانت هناك اختلافات بين الجنسين في بعض الأمور الخاصة نظرا لطبيعة خلق كل منهما ودوره المختلف في بناء هذا الحياة وإعمار الكون فذلك عامل إيجابي يحقق التكامل بين الجنسين ويثري الوجود بتظافر مجهوديهما وتعاونهما وليس بإقصاء أحدهما للآخر ومنعه من ممارسة الحياة في مختلف تجلياتها.

فالمرأة في الإسلام إذن، لها حقوقها المساوية للرجل رغم وجود بعض حالات الاختلاف التي تعود بالأساس إلى الوظيفة الطبيعية والحياتية الخاصة لكل منهما. ومن حقوق المرأة: الحق في التعبير عن آرائها وأفكارها والمشاركة في الأعمال الاجتماعية والتطوعية التي من بينها مكافحة كورونا المستجد بوصفه معركة من معارك افتكاك الحياة والمحافظة على الصحة فهو شبيه بمشاركة النساء في عهد النبي في المعارك والغزوات بحمل الأسلحة أو جلب الطعام وتضميد الجرحى إلى غير ذلك، ساعدت بشكل فعال في انتصار المسلمين في معاركهم.

المصادر والمراجع

- Al-Arabi, I. (2003). *Ahkamu al-Qur'an*. DKI.
- Al-Asyqar. (2004). *al-Wadih Fi Ushul al-Fiqh*. Dar al-Salam.
- Al-Bashri. (1970). *Waq'atu al-Jamal*. Mathba'atu al-Ma'arif.
- Al-Haddad. (2011). *Imra'atuna Fi al-Syari'ati Wa al-Mujtama'*. Dar al-Kutub al-Lubnani.
- Al-Jailani. (2010). *Tafsir al-Jailani*. al-Maktabah al-Ma'rufiyah.
- Al-Jauzi. (1423). *I'lamu al-Muwaqqi'in 'An Rabbil 'Alamin*. Dar Ibnu Hazm.
- Al-Jawi. (1990). *Tafsir Marakh Labid*. Toko Kitab al-Hidayah.
- Al-Khudgaribek. (1969). *Ushul al-Fiqh*. al-Maktabah al-Tijariyah al-Kubro.
- Al-Maraghi, A. M. (1974). *Tafsir al-Maraghi*. Dar al-Fikr.
- al-Qurtubi. (2006). *Tafsir al-Qurtubi*. Muassatu al-Risalah.
- Al-Razi. (1981). *Tafsir al-Fakhr al-Razi*. Dar al-Fikr.

- Al-Shalabi, A. M. (2007). *Haqiqatu al-Khilaf baina al-Shahabati Fi Ma'rikatai Jamal wa Siffin Wa Qadhiyati al-Tahkim*. Dar Ibnu al-Jauzi.
- Al-Sya'rawi, M. M. (1991). *Tafsir al-Sya'rawi*. Dar Akhba al-yaum.
- Alzuhaili, W. (1991). *al-Tafsir al-Munir Fi al-Aqidati wa al-Syari'ati wa al-Manhaj*. Dar al-Fikr al-Mu'ashir.
- Fakhuri, A. (2013). *Muhadarat fi Falsafati al-Lughah*. Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah.
- Muhammad, H. (2001). *Fiqh Perempuan: Refleksi Kiai atas Wacana Agama dan Gender*. eLkis.
- Qutb, S. (1992). *Fi Dhalil al-Qur'an*. Dar al-Syuruq.
- Ridha, M. rashid. (1947). *Tafsir al-manar*. Dar al-Manar.
- Saeed, A. (2006). *Interpreting the Qur'an: Towards a Contemporary Approach*. Routledge.
- Shihab, M. Q. (2007). *Membumikan al- Qur'an fungsi dan Peran Wahyu dalam Kehidupan Masyarakat*. Mizan Pustaka.
- Surl. (2015). *al-A'mal al-Lughawiyah*. Dar Sinatra.
- Yule, G. (1996). *Pragmatics*. Oxford University Press.
- Yusuf, U. (2009). *al-Ikhar An al-Mar'ati Fi al-Qur'an Wa al-Sunnah*. Dar al-Sihr Li al-Nasyr.